دور الإرشاد الأسري والتنشئة الأسرية في التوعية المجتمعية بالعمل الاجتماعي

The role of family counseling and family upbringing in Community Awareness of social work

البروفسير عبد الرحمن أحمد عثمان
جامعة السودان المفتوحة
Professor Abd Al Rahman Ahmed Osman
Open University of Sudan

Abstract

The present study investigates the importance of social work and its relationship with social awareness, as well as the role of family raising and counseling. It dealt with a number of variables in the Arab World, with special reference to the Sudanese society, adopting the historical, descriptive and analytical approaches. Thereby, it arrived at the following:

1. There is a hiatus in experience between that at the time of the Well-guided Khalifate and that at the present time. Whereas that of the time of Well-guided Khalifate was based on Islamic principles, that of the present time was based on contemporary Western principles.
2. The Arab society suffers from unawareness of the importance of social work.
3. There is a strong relationship between family counseling and raising.
4. There is a relationship between social responsibility, in-bred since early childhood, and social work.
5. Sudanese and Arab family raising suffers from the absence of a strategy that may lead to develop social responsibility for children. This reflects weakness in the appreciation of social, charity and voluntary work.

1. توطئة

تتناول هذه الدراسة دور التنشئة الأسرية في التوعية المجتمعية بالعمل الاجتماعي، وتهدف إلى النظر في توظيف التنشئة الأسرية في التوعية بأهمية العمل الاجتماعي، وتثمين دوره في التنمية. كما تهدف الدراسة إلى رفع الوعي بتطور دور الأسرة في العمل

الاجتماعي باعتبارها شريكة أصيلة في صنع قراراته، وتنفيذ نشاطاته وبرامجه ومشروعاته، وباعتبارها مستهدفة منه أيضاً حيث تُوجَّهُ إليها برامجُه ومخططاته.

تنبع أهمية هذه الدراسة من ضرورة الانتقال بالعمل الاجتماعي من طور العلاج إلى طور الوقاية. فالنظرة التي تختزل العمل الاجتماعي في بعده الذي يرتبط بالخدمات الاجتماعية للمشكلات الطارئة على البنيات الأساسية للمجتمع عامة والأسرة خاصة، وذلك في حالات الطلاق والترمل والتشرد والعطالة وإدمان المخدرات وغيرها، هي نظرة سالبة، وتختزل مهام العمل الاجتماعي في الواجبات العلاجية لمشكلات واقعة بالفعل، إلا أنه من أهداف هذه الدراسة أن يبدأ العمل الاجتماعي قبل حدوث المشكلات في مرحلة مبكرة، لهدف الوقاية منها، وذلك بإدخال الأسرة شريكا أصيلاً في التوعية المجتمعية بالعمل الاجتماعي من خلال إرضاع أعضائها قيم التعاضد والتساند والتكاتف والإحساس بروح الجماعة في مواجهة الأزمات وتلافي الهشاشة والقابلية للاختراق قبل وقوع المشكلات وذلك بتقوية مواطن الضعف في الأسرة والمجتمع.

ويكرِّس أهميَّةَ هذه الدراسة سَعْيُها لتطوير الوظائف الاجتماعية للأسرة على أرض الواقع من خلال دعم القيم الإيجابية المواتية لرفع روح المشاركة ودافعية الإنجاز، وإدماجها في عمليات التنشئة، إذ يعتبر ذلك إنزالاً حقيقيًّا لقيم العمل الاجتماعي على أرض الواقع العربي، وعدم اختزال تجاربه التنموية باستبعاد الأبعاد الاجتماعية للتنمية، واعتبارها لاحقةً وتاليةً للأبعاد الاقتصادية والسياسية للتنمية الشاملة.

وتهدف هذه الدراسة جملة، إلى تفعيل دور الأسرة في التوعية المجتمعية عبر أحد أهم وظائفها، وهي التنشئة الاجتماعية لخلق الفرد الفاعل المتوازن، غير المعتمد على غيره، فيما يخص الأبناء في الأسرة النووية، وعبر الأقارب في الأسر الممتدة للنهوض ببرامج العمل الاجتماعي في المجتمع العربي ومشروعاته.

وتتبع هذه الدراسة منهج الدراسات المتداخلة (interdisciplinary approach) إذ أنها من الدراسات عبر الثقافية التي تعتمد في مادتها على مطالعة الأدب المكتوب

والمقارنة بين ناتج مردود حركة البحث العلمى في البلدان العربية والخروج منها بإفادات جديدة.

ولضرورة تتبع معطيات الدراسة فلا بد من إيجاز محاورها التي ترتكز عليها في الآتي: تقدم الدراسة مسحاً للأدب المكتوب الذي توفّر للباحث في محاولةٍ للتعرف على ناتج مردود حركة البحث العلمي في مجال الدراسة، ثم تطرح تقديماً لمفرداته، وبخاصية: الأسرة، والتنشئة الأسرية في المجتمع العربي عامة، والسوداني على وجه الخصوص. ويرتبط ذلك بالتوعية المجتمعية والعمل الاجتماعي. ثم تبرز أهمية دور الأسرة في التنشئة من أجل التوعية المجتمعية، وتتابع التغيرات التي طرأت على الأسرة العربية فأثرت على فاعليتها في التنشئة، ثم تقدم رؤية حول متطلبات تفعيل دور الأسرة، بالتركيز على التوجيه والإرشاد الأسري.

2. مسح الأدب المكتوب

تندر الدراسات التي تناولت التنشئة الأسرية ودورها في التوعية المجتمعية بالعمل الاجتماعي، إذ يتسم هذا الموضوع بالجدة والطرافة. لكن الباحث الحالي توفرت له دراسات عديدة، تناولت التنشئة الأسرية وعلاقتها ببعض المتغيرات ذات الصلة بالقيم الاجتماعية مثل دراسة الحوامدة (1991) عن التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها بأنساقهم القيمية. لقد هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين التنشئة الاجتماعية للوالدين وبين أنساق القيم لدى الأبناء في ظل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة للأسرة العربية، وكذلك معرفة علاقة أنساق القيم التي يمتلكها الأبناء بأنساق الوالدين. وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن المعاملة الأبوية تختلف باختلاف جنس الأبناء، وأن الآباء يعتنون بتنشئة الذكور، أكثر من الإناث، بينما تكون الأمهات أكثر تشدداً على التبعية والتحكم في تنشئة الإناث منهم عن تنشئة الذكور.

ومن الدراسات التي تناولت قيم التنشئة الاجتماعية في الأسرة ومقارنتها بالقيم المضمنة في منهج الخبرات السوداني، دراسة عوض الكريم (2000). لقد توصلت هذه الدراسة إلى أن هناك تطابقاً بين قيم المنهج، وقيم الأسرة، وأن لمعلمات الروضة عموماً

قدرات عالية في نقل القيم النظرية إلى عادات سلوكية، وأن للمنهج توجهاً إسلامياً واضحاً. غير أن هناك عناصر تعمل سلباً في قيم الروضة والأسرة.

ومن الدراسات التي تناولت البناء القيمي في المجتمع الأردني وعلاقته بالتنشئة الأسرية ومتغيرات أخرى، دراسة البطش وعبد الرحمن (1990). فقد توصلت الدراسة إلى أن قيمة التدين والعمل لليوم الآخر احتلت المرتبة الأولى في هرم القيم الغائية، بينما احتلت قيمة التضحية المرتبة الأولى في هرم القيم الوسيلية. كما توصلت إلى أن لمتغير الخلفية الاجتماعية للأسرة أثراً ذا دلالة إحصائية على متوسط الرتب التي احتلتها اثنتا عشْرة قيمة وسيلية واثننتا عشرة قيمة غائية.

وللتعرف على المدى الذي تحدثه الدراسة على القيم المتعلمة خلال التنشئة الأسرية وقف الكاتب الحالي على دراسة كوكس (Cox 1989)، عن التغير في القيم خلال سنوات الدراسة وبعدها. فقد هدفت إلى التعرف على القيم التي تحدث خلال سنوات الدراسة والتي تثبت وتدوم. أظهرت نتيجة الدراسة أن القيم التي تم تعلمها من الأسرة تمر بحالة دينامية من التطور والانخفاض خلال سنوات الدراسة، حيث يحدث انخفاض طفيف في القيم الدينية وارتفاع طفيف في القيم الجمالية، وأن التغير الوحيد الذي له دلالة إحصائية كان الزيادة في القيم الاقتصادية بينما حدث تغير طفيف في القيم الاجتماعية والنظرية.

لقد أوضحت دراسة الخالدي والسامرائي (1989) في المجتمع العراقي أن هنالك فروقاً دالة في القيم الاجتماعية بين الذكور والإناث، حيث جاءت قيم المساندة لصالح الإناث وقيم القيادة لصالح الذكور.

وفي المجتمع المصري أوضحت دراسة زهران وسري (1985) عن القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب. كان هدف الدراسة هو المقارنة بين المجتمعين المصري والسعودي. فكان من أهم نتائجها وجود فروق في بعض القيم، منها القيم الاجتماعية، حيث احتلت القيم الاجتماعية المرتبة الثانية بعد القيم الدينية في المجتمعين، بينما أظهرت نساء مكة حرصاً على القيم الاجتماعية أكثر من نساء القاهرة، ورجال مكة والقاهرة.

يتضح من ناتج مردود حركة البحث العلمي أن القيم الاجتماعية في الوطن العربي تحظى بمرتبة متقدمة من بين منظومة أنساق القيم، وأن للتنشئة الأسرية دوراً بارزاً في إرساء القيم الاجتماعية، وأن التغيرات التي تحدث على مجهودات الأسرة تظل ضئيلة وثانوية، مما يشير إلى أهمية التنشئة الأسرية ودورها في التوعية المجتمعية بقيم العمل الاجتماعي.

3. تعريف الأسرة

تعرَّف الأسرة بأنها وحدة بيولوجية اجتماعية مكونة من زوج وزوجة وأبناء (إن رزقا في حالة الأسرة النووية). تُضاف إليهم قرابات الرحم والنسب (في حالة الأسرة الممتدة) لتشكل نظاماً اجتماعيًّا أو منظمة اجتماعية تمثل نواةً للمجتمع. تقوم بسد الحاجات البيولوجية والنفسية والاجتماعية لأفرادها، وتتآلف فيما بينها الأمور الحقوقية والاجتماعية نتيجة رابطة الزوجية أو صلة القرابة والنسب. وتنضوي تحت سلطة رئيس يدعى رب الأسرة أو عميدها.

لقد حض الإسلام على تكوين الأسرة بالصور الشرعية. وجعل من أهم شُؤونها التكاثر والإنجاب. فقد جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة". أخرجه البيهقي في الألباني (ط 1985، المجلد 385:4). وحرص الإسلام على تربية النشء التربية الصالحة، وذلك واضح من حديث أبي حفص عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال: "كنت غلاماً في حِجر رسول الله صلي الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة. فقال لي: يا غلام إذا أكلت، فقل: بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك". أخرجه الطبراني في الألباني أيضاً (**المصدر نفسه:**611).

تقوم الأسرة العربية عامة على أسس الإسلام والأديان السماوية ومطلوباتها، وتتميز بخصائص مشتركة عامة من حيث الحجم والوظائف والأساليب، التي يمكن إجمالها في الآتي، بإنها أسرة

1. أبوية: من حيث هيكل السلطة وتقسيم العمل والأدوار داخلها.

2. ممتدة: من حيث شبكة العلاقات، والتفاعلات، والالتزامات، والحقوق، والواجبات.
3. متماسكة: من حيث إنها وحدة دفاعية، تدافع عن الفرد والأسرة في مواجهة الفرد والمجموعات الأخرى.
4. تقليدية محافظة: من حيث تأكيدها عل القيم والأعراف والتقاليد والطقوس الدينية.

لقد لخصت علوية دبلوك (1997) وظائف الأسرة في الإنجاب وإشباع الغرائز الطبيعية والنفسية، والتنشئة الاجتماعية ومنح المكانة الاجتماعية، والضبط الاجتماعي.

تقع الأسرة السودانية في إطار العالم العربي الإفريقي. لذلك، ولدراسة أساليب التنشئة الأسرية في الأسرة السودانية دراسةً علمية موضوعية، ينبغي مراعاة ذلك التزاوج بين الثقافة الإسلامية، والموروث الاجتماعي، ودرجات الاتصال بين المجموعتين العربية والأفريقية وأثرها على أساليب التنشئة الاجتماعية.

يرى حيدر (246:1994) في تأثير الثقافة على المسلك الاجتماعي أن المصدر الأهم للثقافة العربية هو الدين الإسلامي، بينما يرى البعض أن العائلة هي الأهم، وأن الكثير مما يسمى قيماً دينية هو في الأساس قيم عائلية. كما يرى آخرون أن أنماط المعيشة وأساليبها مهمة بشكل عام، فينشأ عن ذلك ثقافة بدوية رعوية، أو ثقافة ريفية زراعية أوثقافة حضرية تجارية. لكن كاتب هذا البحث يرى أن تفاعل هذه العناصر الثلاثة مجتمعة هو الذي يُحدث السلوك الاجتماعي في الأسرة والمجتمع.

فإذا نظر المرء إلى الجانب الإفريقي في الأسرة السودانية، يجده مجتمعاً قبليًّا قائماً على قيم القبيلة ومعاييرها. فهو مجتمع أسري يمجد الأسرة، والقيم العائلية، ونظام الأسرة الأُمومي، الذي كان سائداً حتى الفترة المروية من تاريخ السودان القديم والعصر الوسيط، حين كانت السيادة العائلية فيه للمرأة. وبفعل الإسلام تحولت النظم الأسرية إلى النظام الأسري الأبوي، الذي تؤول فيه السلطة للرجل، حيث يُلحَق الولد بأبيه وبأسرة أبيه. ولكنه كان نطاقاً ممتزجًا عند العشائر بمظاهر النظام الأسري الأُمومي، الذي يقتضي أن يكون الرجل فيه شهماً وجريئاً معظِّماً للمرأة، يناقشها ويأخذ برأيها في أمور الأسرة، ويحترم

التعاون بين الزوج والزوجة، وإن كانت التقاليد تحتم على الزوج في أوقات معينة أن يتحمل المسؤولية وحده.

4. الإرشاد الأسري

يشمل الحديث عن الإرشاد الأسري تعريفه وهدفه وأسسه والمشكلات الأسرية ودور المرشد في الإرشاد الأسري وعملية الإرشاد. تفصيل كل ذلك على النحو الآتي:

1.4 تعريف الإرشاد الأسري

يجوز تعريف الإرشاد الأسري بأنه نوعٌ من التداخل الإرشادي أو العلاجي في نظام الأسرة كمجموعة مترابطة. وذلك من أجل إحداث تغيير إيجابي فيها. كما يمكن النظر إلى الأسرة، من خلال العلاقة الإرشادية، على أنها وحدة تخضع بكاملها للإرشاد أو العلاج، دون أن يكون ذلك العلاج موجهاً إلى شخص واحد أو فرد بعينه. ويأخذ الإرشاد أو العلاج أساليب متعددة تهدف جميعها إلى محاولة تغيير نوعية العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، وتطويرها بشكل إيجابي.

يتولَّى هذا الإرشادَ المرشدُ النفسيُّ أو المعالج النفسي الذي يتكئ على مقولات علم النفس في تشخيص أسباب المشكلات الأسرية، ووضع الوصفات العلاجية لها عن طريق التحليل والربط والتوجيه، مستعيناً في ذلك بالمعتقدات الدينية والثقافية للأسرة موضع الإرشاد. فمثلاً، إذا أراد المرء استرجاع طفل مشرد كليًّا أو جزئيًّا لأسرته، فإن البرامج الإرشادية، توجَّه للأسرة وللطفل معاً في وقت واحد وليس للطفل وحده.

أما عاصم محمود (1989)، فيعرِّف الإرشاد الأسري بأنه عملية مساعدةِ أفراد الأسرة جميعاً للوصول بالحالة النفسية والاجتماعية السائدة في محيط الأسرة، إلى أوضاع متزنة، ومتفاعلة، مما يولد أسرة سعيدة قادرة على تنشئة اجتماعية سليمة.

2.4 هدف الإرشاد الأسري

يهدف الإرشاد الأسري إلى مساعدة أعضاء الأسرة الواحدة على النمو عن طريق تنمية علاقة كل فرد بالآخرين. وذلك من خلال بسط المعارف النفسية التي تحكم العلاقات بين الأقرباء، والخصوصيات التي يجب أن يتسم بها كل فرد، وحدود الخاص في ذلك والعام. وذلك لتنمية فهم كل فرد من أفراد الأسرة للقيام بدوره على نحو سليم. وهذا يعني أن تصبح الأسرة وعاءً ومؤسسةً لعلاج الحالات الخاصة داخلها، بدلاً من تأسيس مؤسسات إيوائية لعلاج التشرد، أو تعليم الأطفال المعاقين مهارات الحياة اليومية. فالدمج الشامل داخل الأسرة الأصلية هو الحل لجميع مشكلات الطفولة.

إن الإرشاد الأسري يحاول المساعدة على معرفة أسباب مشكلات الأسر أو المساعدة في حل هذه المشكلات عن طريق توضيح معاني الحياة الأسرية ومسؤولياتها.

3.4 أسس الإرشاد

يقوم الإرشاد الأسري على الفلسفة القائلة بأن جذور أغلب المشاكل، التي يعاني منها الأفراد على اختلاف أشكالهم، تكمن في اضطراب العلاقات بين البشر، لتضارب حاجات الأفراد الخاصة وطبيعة العلاقات السائدة داخل الأسرة.

ويشير كثير من الدراسات إلى أن أفراد المجموعات الإرشادية، ومنها مجموعة الأسرة، عادة ما يحاولون حل مشاكلهم المعقدة التي لم يتسنَّ لهم حلها بعد. وغالباً ما تدور هذه المشاكل في إطار رغبة الأطفال الملحة في الحصول على حب والديهم، وعلى رضاهم عنهم وتقبّلهم. ولهذا يعمل الإرشاد الأسري على التعامل مع هذه العمليات بشكل مباشر.

وَيَردُّ رمضان القذافي (1997)، الاضطربات الأسرية برأيه إلى مشكلة أخرى، هي أن بعض الآباء ما زالوا يرون أنّ الأطفال وجدوا لكي يُنْظَر إليهم، لا لكي يُسْتَمع إليهم ويُتَفاعَل معهم. تشير هذه الحقيقة إلى ضرورة عمل الإرشاد الأسري على تغيير

الاتجاهات السائدة نحو تربية الأطفال وتنشئتهم داخل الأسرة، وعلى إعادة بناء علاقات جديدة تستند إلى اتجاهات صحيحة.

4.4 المشكلات الأسرية

لا تخلو آية أسرة من بعض المشكلات في وقت من الأوقات. فبعضُها يستطيع أفراد الأسرة حلها فيما بينهم، وبعضُها يستطيع الأهل والمصلحون المساعدة في حلها. وبعضها الآخر يحتاج إلى مساعدة إرشادية متخصصة. ويقدم جودت وسعيد (1997)، فيما يلي نماذج من أسباب المشكلات:

1. اضطراب العلاقات بين الوالديْن: تتضمن الخلافات الزوجية والمشكلات النفسية والسلوك الشاذ. وهذا يهدد استقرار الجو الأسري والتنشئة الأسرية الداعية للعمل الاجتماعي.
2. الإدمان: يأتي الخلل للأسرة أحيانًا إذا كان الوالد مدمنًا، فينتقل الإدمان إلى كافة أفراد الأسرة على الأقل إلى الذكور منهم. ويعتبر إدمان المخدرات أو الكحول كارثة تصيب الأسرة بكاملها وليس المدمن وحده. وتدل الإحصاءات على أن نسبة التصدع في أسر المدمنين تزيد على سبعة أضعافها في الأسر الأخرى.
3. الوالدان العصابيان: قد يكون الوالدان عصابيين فيؤثر ذلك تأثيراً سيئًا على علاقتهما بعضهما ببعض وعلاقتهما بالأولاد وعلى سلوك الأولاد.
4. القدوة السيئة: قد يكون الوالد قدوة سيئة للأولاد، فيكون لذلك تأثير سيء في التنشئة الاجتماعية لهم، حيث يتعلمون ويقلدون السلوك السيء.
5. التنشئة الاجتماعية الخاطئة: قد تكون عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة خاطئة، ينقصها تعلم المعايير والأدوار الاجتماعية السليمة والمسؤولية الاجتماعية، أو تقوم على اتجاهات والدية سالبة مثل التسلط والقسوة والتدليل والإهمال والرفض والشفقة الزائدة... إلخ. ومثل هذه الأسرة تحتاج من المرشد إلى النُّصح حول أنماط التنشئة الوالدية الإيجابية.

6. اضطرابات العلاقات بين الوالديْن والأولاد. كثيراً ما يجد المرء أن مشكلات الوالديْن ترتبط بمشكلات الأولاد. ويرجع ذلك إلى اضطراب العلاقات بين الطرفين، ويتخذ صوراً عديدة. منها فقدان الحب، ونقص الاتصال الانفعالي، وضوح الحدود ورسمها في سلوك كل من الطرفين. وهذا يؤدي إلى صور متعددة في اضطرابات السلوك الاجتماعي.
7. عقوق الوالديْن: عندما يكبر الأولاد قد ينكرون فضل الوالديْن ولا يبرونهما، وينقصهم واجب احترامهما والإحسان إليهما. فلا تصبح الأسرة مأوىً حسناً للمسنين.
8. اضطرابات العلاقات بين الأخوة: بسبب التفرقة في معاملتهم أو تسلط الكبير على الصغير، أو الذكور على الإناث، والشقاق بين الإخوة غير الأشقاء.
9. مركز الولد في الأسرة: إن مركز الولد في الأسرة، نحو كونه الولد الأول أو الأكبر أو الأصغر أو الوحيد، أو كونه ولداً ربيَباً أو مُتَبنّىً، يُؤثر في أسلوب تربيته وتنشئته وعلاقاته مع والديْه وإخوته. وقد يترتب على ذلك بعض المشكلات. فالولد الأكبر يُتوقَّع منه الكثير مما قد لا يستطيع القيام به. وقد يتسلط على إخوته الصغار. والولد الأصغر، قد ينال حبًّا زائداً وتدليلاً مفرطًا يفسده، ويظّل يُعامل على أنه الأصغر، مهما كبر، فيشعر بالنقص وعدم الكفاية.
10. أولاد الزواج السابق: قد يكون لأحد الزوجين أو كليهما أولاد من زواج سابق انتهى بالطلاق أو الوفاة. فهم إما أن يعيشوا في الأسرة الجديدة وإما أن يعيشوا مع الزوج السابق أو مع أهله من بعده. إن الولد يشعر بخسارة فادحة سواءً أكان ذلك في حالة طلاق أحد الوالديْن أو وفاته. فقد يسلك الولد سلوكاً عدوانيًّا تجاه زوج الأم، أو زوجة الأب، لأن وجود الزوج الجديد يعني فقد الأمل في عودة الوالد المفقود أو الوالدة المفقودة.
11. الأولاد اليتامى: في حالة وفاة الأب أو الأم يوصف الولد بأنه "اليتيم المنفرد". وفي حالة وفاة الوالديْن يوصف "باليتيم المزدوج"، ولاشك أن اليتامَى قد يعانون

من مشكلتين رئيستين، هما العوز المادي والحرمان الانفعالي من الحب والعطف والحنان حين يتولى أمرهم غير الوالديْن.

12. مشكلات المرأة العاملة: حين تخرج المرأة إلى العمل، قد تحدث مشكلات مثل إهمال الزوج، وحرمان الأولاد من الرعاية. وقد تحدث اضطرابات بسبب ترك أمر تربية الأولاد للخدم ودور الحضانة وما يجره ذلك من أخطاء وأخطار.
13. خْلف البنات وعدم الإنجاب (العقم): قد يمثل خْلف البنات فقط دون البنين مشكلة تؤدي إلى تعدد الزوجات أحياناً، أو إلى عدم الرضا أو الطلاق وكذلك العقم.
14. مشكلات ذوي القربى: الأسرة في مداها الواسع تشمل ذوي القربي وهم غير الأصول والفروع. وقد يحدث قطع الأرحام الفجوة بينهم، والبعد عنهم والتنكر لهم وفي هذا فقدان لرباط اجتماعي متين. وقد يحدث في حالة إقامة بعض الأقارب مع الأسرة لدواعي التعليم في الغربة بعض المشكلات التي قد تكون عواقبها وخيمة.

5.4 دور المرشد في الإرشاد الأسري

يحتاج المرشد إلى الإحاطة بنظام عمل الأسرة. وعلى الرغم من أن استخدام طريقة المقابلة التقليدية قد يوفر بعض المعلومات المطلوبة لهذا الغرض، فإنه من الضروري أن يقوم المرشد بملاحظة الأسرة أثناء نشاطها في حل أيِّ مشكلة ما، أو تعاونها في القيام بعمل مشترك حتى يتسنَّى له تشخيص الحالة. وأحيانًا ما يلجأ المرشد إلى تكليف الأسرة بعمل مشترك مثل رسم صورة يساهم فيها جميع أفراد الأسرة، بينما يقوم المرشد بالملاحظة. ويستطيع المرشد من خلال الملاحظة اليقظة والدقيقة التعرف على طبيعة العلاقات السائدة بين أفرادها.

6.4 واجبات المرشد

1. على المرشد النظر إلى كل فرد في الأسرة على أنه إنسان مميَّز ومهم.

2. نظراً إلى أن بعض الاضطرابات الأسرية ترجع إلى طبيعة الاتصال بين أفرادها، والتي تتميز بالإبهام وعدم الوضوح، لذا يصبح من مهام المرشد تعليم الأسرة كيفية الاتصال بشكل صحيح وصادق وصريح.
3. على المرشد حث أفراد الأسرة على التحدث بعضهم بعضاً بشكل طبيعي.
4. عليه شرح دور الأسرة وتعليم أفراد الأسرة حدود الحقوق والواجبات.

7.4 عملية الإرشاد

قد يلجأ المرشد، بعدما تجتمع الأسرة معًا، إلى اختيار واحد من أفرادها ممن له تأثير كبير على باقي الأفراد والتعامل معه، للتعاون من أجل إحداث تغيير في باقي الأعضاء. ويعتمد هذا الأسلوب على الاتجاه القائل بأنه في حالة تغيُّر أحد أفراد الأسرة وشعوره باستقلاله، فإن ذلك يهز الاتزان السابق، مما يجعل باقي أعضاء الأسرة يعيدون النظر في مواقفهم. كما قد يلجأ المرشد إلى حث كل عضو في الأسرة على التعبير عن مشاعره تجاه الآخرين، والتحدث بحرية عمن يحب ويكره، ومن يسامح أو يخاصم، وماذا يسره أو يؤلمه، و الأمور التي يراها مستحلية داخل الأسرة، بشرط أن يرتبط ذلك بمشاعره الحالية وعدم الخوض في الأحداث الماضية.

وقد يختار المرشد أسلوباً آخر يطرح من خلاله مشكلة للنقاش تمس الأسرة: مثل المشاكل المالية، أو مواضيع الأكل واللبس، أو أسلوب الحديث. ويعتمد هذا الأسلوب على قيام أفراد الأسرة بلعب أدوار متعددة، كأن يقوم الابن بدور أبيه الذي يوجه إليهم كثيراً من الانتقادات، أو أن يقوم الأب بدور الابن ويبين كيف تكون علاقته بأبيه في هذه الحالة. وهكذا. من أساليب العلاج الجماعي مثل لعب الأدوار، السايكودراما، والإرشاد الديني.

ومن الأساليب التي يمكن استخدامها، التركيز على وسائل الاتصالات غير اللفظية لاكتشاف تأثير كل عضو في الأسرة في تفاعلها بواسطة تعبيرات وجهه أو حركاته الإرادية وغير الإرادية، أو مظهره وغير ذلك.

عادة ما يتقابل المرشد في بداية الإرشاد مع أفراد الأسرة في جلسة مبدئية أو أكثر من جلسة، يقوم فيها بالتركيز على ملاحظة العلاقات بين الأفراد. فقد تكون مشكلة الأسرة، على سبيل المثال، هي نظرة جميع أفرادها إلى عنصر فيها على أنه مضطرب، مما يجعله يتصرف معهم وفقاً لتوقعاتهم على هذا الأساس، وبعدما يتم التشخيص الصحيح توضع الخطة المناسبة لعملية الإرشاد.

على الرغم من أهمية الإرشاد الأسري ودوره في دعم التنشئة الأسرية وإدخال الأبعاد الناقصة في تنشئة الطفل العربي خاصة ما يتصل بالتوعية من أجل العمل الاجتماعي، فإن المرء لا يجد عند الحكومات أو منظمات المجتمع المدني اهتماماً بإنشاء مراكز إرشاد أسري، وهي من البنيات الفعالة التي يمكن أن تدعم جهود الأسرة في مجال رفع دافعية الإنجاز والمشاركة والتعاطف.

إن الكثير من بنود العمل الاجتماعي ومؤسساته، يمكن تلافيها إذا دُعمت الأسرة للقيام بواجباتها على نحو سليم. فمثلاً يمكن إلغاء دُور المسنين إن كان هنالك إرشاد أسري مبكر ولاحق للأبناء. مرتكز على الأسس النفسية والدينية، كما يمكن إلغاء دُور المعاقين وإدماجهم في أسرهم وتعليم الأسر طرق تعليمهم مهارات الحياة اليومية. وكذلك يمكن إلغاء دُور المشردين، والأيتام، واللقطاء.

ومن الجوانب التي يمكن أن تساهم التنشئة الأسرية فيها، إذا تمت مساندة الأسرة بالإرشاد، هي محاربة المفاهيم الخاطئة التي تقعد بالأسر عن الاستفادة من مواردها باستغلال طاقاتها وتحريك أصولها المجمدة. فالإرشاد الأسري هو الوسيلة المثلى للتوعية المجتمعية من خلال الأسرة "نواة المجتمع وجماعته الأولية"، وذلك بتفعيل الأسرة في التوعية المجتمعية عبر أهم وظائفها: وهي التنشئة الاجتماعية، لخلق الفرد المتوازن والمنتج، ذي الدافعية العالية للإنجاز والمشاركة في الأعمال الاجتماعية.

5. التنشئة الأسرية

فيما يلي حديث عن التنشئة الأسرية مفهومًا وتنميةً وأهمية.

1.5 مفهوم التنشئة الأسرية

تعبر التنشئة الأسرية عن عملية التحول التي تحدثها الأسرة بالوليد. وتتغير فيها الحاجات البيولوجية إلى قيم اجتماعية، فيتحول فيها الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن أجتماعي. وتتم التنشئة خلال مجموعة من العمليات التي تسهم في إكساب الصغار الطباع ومظاهر السلوك السائد في مجتمعاتهم، من خلال عملية تفاعلهم مع والديهم وكبار إخوتهم أو أي شخص من الراشدين المألوفين لديهم. ويتم ذلك مِنْ خلال مجموعة من الأساليب التي يتشرب بها الطفل قيم المجتمع وضوابط السلوك، والكّف عن الأعمال التي لا يقبلها المجتمع. كما يتعلم مبادئ الأسرة واتجاهاتها في القيم الإيجابية مثل الكف عن العدوان، الانتماء للجماعة، وقيم المشاركة والتعاون والتكافل والعطف والمساندة والاعتماد على الذات وكافة القيم الضرورية للعمل الاجتماعي.

يعرِّف طلعت لطفي (135:1981) التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تعلم وتربية تتم داخل الأسرة، تهدف إلى إكساب الطفل معايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته، والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

يجمع علماء علم النفس الاجتماعي على أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل. وتعتبر النموذج الأمثل للجماعة الأولية، التي يتفاعل الطفل مع اعضائها وجهًا لوجه، ويتوحد مع الأب أو الأم، أو الطفل الكبير عندما يعتبر سلوكه نموذجاً يقتدي به، ويصبح من يختاره الطفل نموذجًا (Model) مثلاً يحتذيه، مجسِّداً للسلوك السوي (عبد الرحمن 2003، 2004).

والأسرة هي الممثل الأول للثقافة وأقوى الجماعات تأثيراً في سلوك أفرادها. للأسرة أهمية تربوية بالغة، لأنها هي المدرسة الأولى للطفل، والعامل الأول في صبغ سلوكه بصبغة اجتماعية. حين تدخل إليه قيم المجتمع من خلال السلطة الأبوية التي تقوم على المكافأة الإيجابية بالغذاء والدفء العاطفي، أو العقاب بالحرمان والنبذ

الوجداني. ولحاجة الطفل إلى الأسرة وإلى خدماتها، وحنوِّها عليه، وإعجابها به، وحبها له في سنيِّه الأولى، فإن الطفل يحول نفسه بطريقة تلقائية إلى موضوعٍ تصدر له الأوامر من الأسرة فيمتصها إراديًّا لتتحول هذه المدخلات الممثلة للمجتمع – إلى ما يسمى بالضمير، وإلى ما تطلق عليه مدرسة التحليل النفسي اسم "الأنا الأعلى"، أو "الذات العليا". وبحسب الأوامر التي يمتصها الطفل، والأدوار التي يراها ويحاكيها، يكون نوع ضمير الطفل. ومن خلال طريقة معاملة الطفل، وأخذه بالقيم والقواعد، يتكون نمط شخصيته.

يرى أوجبرت ونيلسون (1980) أن أثر الحياة العائلية في تشكيل بناء شخصية الطفل كبير، مقيساً بالعوامل الوراثية. إذ أن الطابع العام لنوع الاتجاهات الوجدانية الذي تمنحه الحياة العائلية للطفل هو الذي يجعل الفرد متكيفاً أو سئ التكيف.

يتكون هذا الطابع في السنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل، التي تسمى الفترة التكوينية أو "الفترة الحرجة". تتفق هذه النظرة مع النظرة الإسلامية التي تُستشف من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجسانه (**سنن النسائي** ج4، 247:1964).

وترتيبًا على ما سبق تعتبر الأسرة هي الجماعة الأولى التي تمد النشئ بخصائص المجتمع بلا منازع. أي أنها الوسيلة الرئيسة للتنشئة الاجتماعية يتعين الطفل فيها بأدوار الوالدين. والتعيُّن من وسائل التنشئة الأسرية وبه يتكون "الأنا" عند الطفل. ومن خلال دمج الأوامر والزواجر والنواهي يتخارج الأنا الأعلى، ومن خلال دمج قيم الثواب والعقاب يتكون الضمير.

إن علماء النفس الاجتماعي يقصرون عمليات التنشئة الأسرية على مرحلتي الطفولة الأولى، والوسطى أحياناً. أما عمليات استدخال قيم المجتمع في مرحلة المراهقة فإنهم يطلقون عليها مصطلح "التطبيع الاجتماعي"، و"إعادة التطبيع".

وللتطبيع وإعادة التطبيع صورٌ ثلاثٌ هي:

(أ) التطبيع المشروع أو المبرر (Legitimate Socialization)، وهو الذي يتلقاه البالغ الذي لم تسمح ظروفه بتلقي مثله في وقته.

(ب) التطبيع غير المشروع (Illegitimate Socialization) وهو الذي لم يكن له مُوجب، لأنه كان من المفترض أن يتم دون الثالثة من العمر.

(ج) إعادة التطبيع (Re-socialization)، وهو الذي يقوم على تصحيح التنشئة الخاطئة، أو اقتلاع التنشئة الخاصة بأسرة المرء ومجتمعه وإبدالها بقيم مجتمع مغاير كليًّا.

يشير ناتج مردود حركة البحث العلمي إلى أن عمليات التطبيع وإعادته صعبة النجاح. وفي حالة نجاحها فإنها قصيرة الأمد، حالما يعود المطبَّع إلى طبيعته الأولى. وقديمًا قال الشاعر: "لا يبلغ الطبَعَ العريَقَ تطبُّعٌ". لذا فإن أهمية دور الأسرة تتأكد خاصة في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل. فالطفل الذي تفوته فرصة الحياة في أسرة، يظل يعاني حرماناً من نشأة الضمير والأنا، والأنا الأعلى، فينشأ غير متمثلٍ قيمَ المجتمع، ويُنتزَع عنه الطابع الاجتماعي ويُحرَم من بناء الأبنية الاجتماعية الكبرى للتنظيمات الاجتماعية غير الرسمية. ذلك لأن الأسرة هي التي تقدم المواقف المتخصصة والدقيقة في المؤثرات التكوينية في عملية التنشئة الاجتماعية. فهي التي تعمل للسيطرة على درجة العصيان والعدوان وتأكيد المطاوعة الاجتماعية، من خلال التقليد والتوحُّد والخوف من الجمهرة، ورفع حاجات الإنجاز وإطفاء الحاجة إلى الأمن، والثقة بالنفس والحاجة إلى تقدير الآخرين.

توضح دراسات المشردين، الذين فاتتهم فرص البقاء في أسرة، أهمية التنشئة الأسرية. فهم غالباً ما ينشؤون عديمي الضمير، مجردين من المبادئ الاخلاقية، لا يراعون كثيراً مبادئ الصواب والخطأ، غير قادرين على أرجاء الحاجات غير الاجتماعية، يقولون الكذب، ويخدعون الآخرين، ولا يحترمون ملكية الغير، عدوانيين ذوي ميول تدميرية. يستبطنون عداءً للمجتمع والافراد، ويسيطر عليهم الشعورُ

بالكراهية. والاتجاه السالب نحو الأسرة والمدرسة وجماعة الأقران والشرطة والمؤسسات الرسمية (عبد الرحمن 42:2004).

تحدُث التنشئة الاجتماعية من خلال عمليات وديناميَّات، منظمة ودقيقة. يرى كل من لامبرت ولامبرت (39:1989) أن عملية التنشئة الأسرية تبدأ عندما يدخل المواليد الجدد، بكل فروقهم الوراثية المتنوعة، وبكل إمكاناتهم للتغيرات السريعة في النضج، إلى عالم تأخذ الضغوط المتنوعة فيه من الآخرين في التأثير عليهم في كل من المواقف العامة والخاصة... يُقصَد عالم الأسرة.

يبدو أن المطاوعة الاجتماعية كأحد جوانب عملية التنشئة الاجتماعية تستلزم عملية تعلُّم طويلة المدى. فالأطفال يكوِّنون عادات المطاوعة نتيجة لأنواع المكافآت والعقوبات التي يستخدمها الوالدان– فالعملية الاجتماعية الأولى في الأسرة تُصوَّب نحو كف العصيان وإكساب الطفل سلوك المطاوعة الاجتماعية. ولوجود علاقة ارتباطية سالبة بين المطاوعة والعدوان نسبيًّا، فإن العملية الثانية في التنشئة توجه نحو كف العدوان. ولكن بما أن الثقافات كلها تعمل على التحكم في درجة العدوانية فإن هذه العملية تحظى بمكان الصدارة.

لقد صاغت دراسات لينارد دوب (Leonard Doob 1939) مبدأ محدداً للسلوك يربط بين الإحباط والعدوان. وأشارت إلى أن شكلاً من أشكال الإحباط يسبق السلوك العدواني، بينما كشفت دراسات سيرز، أن العقوبات الصارمة في مواجهة العدوان تكون فعالة في كفِّه أكثر مما تفعل محاولات تخفيف الإحباط.

ويرى باندورا (1971) أن العدوان ظاهرة متعلَّمة يتم التقاطها بالتقليد من سلوك الوالديْن والأقربين. وله تجربة شهيرة في هذا المجال من خلال النماذج الأربعة التي وضعها في حجرات متفرقة في التعامل مع الدُّمَى. فالأطفال الذين أدخلوا إلى حجرة النموذج العدواني، الذي يركل الدُّمَى طوروا سلوكاً عدوانيًّا تجاه الدمى، بينما أخذ الأطفال الذين أدخلوا إلى حجرة النموذج المسالم الذي يقبّل الدُّمَى، سلوك الموادعة

تجـاه هـذه الـدُمى. وذلـك بينمـا تـراوح سـلوك الغـرفتين المتوسـطتين بـين العـدوان والموادعة.

وتشير دلالات تجربة باندورا إلى أهمية التقليد في استدخال قيم المجتمع، كعملية أساسية من عمليات التنشئة الأسرية. ويُعتَبر التقليدُ العمليةَ النفسية الاجتماعية العامة والمهيمنة التي يمكن أن تفسر كل السلوك الاجتماعي للبشر، وقد جاءت كل دراسات ميللر ودولارد (1941) مؤيدة إلى هذا الاتجاه، وصنفت التقليد شكلاً من أشكال التعلم الاجتماعي، يكتسب الأطفال من خلاله الإشارات العارضة والدقيقة للنموذج الاجتماعي المرغوب فيه. ولا شك أن الأطفال الأول في الأسرة الذين تكون لهم صلة مكثفة بنماذج الراشدين المتمرسة والصورة والنشطة لغويًّا، يتعلمون التقليد بصورة أكثر شمولاً من الأطفال الذين يولدون بعدهم، الذين عادة ما تكون قدوتَهم الاشقاءُ الأكبر منهم سناً، غير الصبورين وغيرُ الأكفاء.

ويحدث للمقلد تعميمٌ لخبراته المتعلمة بالتقليد، لتنسحب على مواقف أخرى لا توجد فيها نماذج يتبعها، بالإضافة إلى أنه يتعلم الكثير بمجرد الملاحظة. وقد توصلت الدراسات التي أجراها مايكل كول (Michael Cole 1971) وزملاؤه إلى أن الأطفال يتعلمون من الملاحظة أكثر مما يتعلمون من المواقف المرتبة خصيصاً لنقل المعلومات شفهيًّا. يرى لامبرت (53:1989) أن التقليد والتعلُّم بالملاحظة عمليتان مهمتان من عمليات علم النفس الاجتماعي في التنشئة الأسرية. إن نتائج الدراسات المشار إليها تُلقي الضوء على التأثير المتغلغل للتقليد والملاحظة والتي تسمّى أحيانًا "التعلُّم الاجتماعي البديل". وعلى الرغم من أن هذه العمليات تؤثر على الطفل في مختلف مراحل حياته، إلا أنها تكون قوية على نحوٍ خاص في السنوات الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية، عندما يظهر للطفل أن شخصًا أو شخصين لهما السيطرة القوية على حاجاته وقيمه.

يعتبر التوحُّد واحداً من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية؛ وهو أن يسلك الطفل كما لو أنه يشعر ويفكر كشخص آخر معين، وينزعَ لأن يكون كواحد من الوالدين

دون أن يتلقَّى أي مكافأة واضحة على فعله هذا. وعلى الرغم من أن هذا التعلم يقع ببساطة لأن الطفل قد قرر أن يمارس سلوك شخص آخرَ مهمًّ، إلا أن حدة آثار التوحد كبيرة إلى درجة تعتبر عند الكثير من الباحثين أكثر القضايا حيوية في علم النفس الاجتماعي بأسره.

إن التنشئة الأسرية تهدف في غاياتها إلى تكوين الضمير الذي يراقب فعل الطفل في غياب الوالديْن بتنمية عاداتِ إطاعةِ القواعد الخاصة بالسلوك الطيب. وقد أظهرت دراسات تجريبية أن الأطفال ذوي الضمائر الحية يغلب أن يكونوا قد رُبُّوا بأساليب مثيرة للحب (مثل المديح، وفرض العزلة، وحجب الحب) وليس بأساليب مادية (مثل: إعطاء مكافات مادية، أو عقاب بدني اوحجب المكافأت والامتيازات المادية).

ومن عمليات التنشئة الأسرية التي يعيرها علماء النفس الاجتماعي اهتماماً خاصـًّا عملية الحساسية للنقد الاجتماعي أو الخوف من الجمهرة. ترتبط درجات الخوف من الجمهور بتقويمات الوالديْن غير الراضية عن سلوك الأطفال وكثرة العقوبات لعدم التمشي مع معايير الوالدين.

2.5 تنمية دافعية الإنجاز والتنشئة الأسرية

تعتبر تنمية دافعية الإنجاز من العمليات الأساسية للتنشئة الاجتماعية ذات العلاقة اللصيقة بالعمل الاجتماعي عامة وبأبعاده التنموية على وجه الخصوص.

تنمو دافعية الفرد للإنجاز من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية. على الرغم من وضوحها في السنوات الأولى فإنها تبلغ ذروتها في حوالي الثامنة من عمر الطفل. ولقد أشارت ماريان وينتريوتوم (655:1954) إلى أن هذه الحاجة تنمو بصورة أكثر تكراراً وقوة في الأسر التي تشجع الأطفال على الاستقلال وعدم الاعتمادية في سن مبكرة. فالأسرة التي تعوِّد الأطفال على ربط أحذيتهم بأنفسهم، أو إصلاح دراجاتهم أوإعداد إفطارهم في سن مبكرة، يُتوقَّع أن تنمو دافعيتهم إلى الإنجاز والمساهمة الاجتماعية عندما يكبرون. وقد اتضح أن الأطفال ذوي الحاجة

العالية للإنجاز يكون آباؤهم قد حددوا لهم أهدافاً عالية في مهام تجريبية، وكانت ردود أفعال الآباء تجاه أداء أبنائهم أكثر إيجابية مما فعل أباء الأولاد ذوي حاجات الإنجاز المنخضفة وأمهاتهم. وهذا يعني أن الآباء يساعدون على إيجاد دافع إنجاز قوي في الأبناء إذا حددوا لهم أهدافاً عالية، وكانوا متعاطفين وإيجابيين تجاه أداء أبنائهم، ثم شجعوهم على ممارسة مبادراتهم الخاصة.

كان ديفيد ماكليلاند، وهو عالم نفس اجتماعي، قد قام بتوسيع أبحاثه حول دافع الانجاز لتشمل المجال الاجتماعي الثقافي، ونشرها في كتاب عن المجتمع المتطور (*The Achieving Society* 1961) وقد ذهب إلى أن النمو الاقتصادي لبلد ما، إنما هو، بطريقة جزئية، عملية اجتماعية نفسية تحدث من خلال التنشئة الأسرية، حيث أنه يرتبط بدرجة عالية مع نمط ثقافي من التدريب على الاستقلال المبكر وتنمية دافعية وحاجة ملحة للإنجاز. وبهذه المكونات الاجتماعية النفسية، يمكن للمجتمع أن يكافح من أجل المزيد من النمو الاقتصادي.

ولعله من المؤكد أن ارتفاع دافعية الإنجاز من منجزات التنشئة الأسرية الراشدة التي تكافح الفقر. ويؤكد علماء النفس على أهمية الأسرة في التنشئة التي تعتبر وعلى أقل تقدير متساوية مع معطيات الوراثة والنمو الشخصي كإحدى القوى المشكلة للبشر التي تساهم في نمو المجتمعات من خلال التوعية المجتمعة بأهمية العمل الاجتماعي.

3.5 أهمية دور الأسرة في التنشئة من أجل التوعية المجتمعية

مما تقدّم تتضح للمرء أهمية دور الأسرة في التنشئة عامة. وأن للأسرة دوراً خاصاً في توجيه التنشئة لتتضمن محاور التوعية المجتمعية من أجل العمل الاجتماعي. ففي البداية لا بد أن يعترف المرء بأن الأسرة العربية المعاصرة بعيدة عن نموذجها في صدر الإسلام. فقد حث الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) المسلمين الأوائل على تضمين قيم العمل الاجتماعي في نموذج التنشئة التي يقدمونها لأطفالهم. فالناظر لقيم العمل الاجتماعي المعاصر مثل مفاهيم العدالة

والمساواة، وآليات التضامن الاجتماعي، ومحاربة الفقر، ومعنى العمل ومفهوم البطالة، وقضايا العرق والطبقة والنوع الاجتماعي، وكذلك مفاهيم الشيخوخة، مما ورد في ورقة آمال طنطاوي (3:2003) يجد أن الإسلام قد قدم لها فلسفة وحلولاً من خلال الآيات القرآنية وأحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم. كما أنَّ الفقهاء المسلمين وأعيان المجتمعات الإسلامية أضافوا نماذج للعمل الاجتماعي تدعم الأسرة، وتيسر مهمتها في تنشئة أبنائها على قيم العمل الاجتماعي، ونضرب على ذلك مثلاً... فريضة الزكاة ومفهوم الأوقاف.

ففي الوقت الذي وُجِّهت فيه الزكاة لحلول المشكلات الفردية في المجتمع، وُجِّه الوقف لخدمة المشكلات المجتمعية. فالزكاة مثلاً هدفت لإعلاء قيم التكافل الاجتماعي، ومحاربة الفقر، ودفع الديات من أجل السلام الاجتماعي، وإعانة أبناء السبيل أوالمنقطعين. والأخير ثبتته الأمم المتحدة في الوقت الحالي فأنشأت بنداً أسمته بند الانقطاع، فقد كان المنقطعون أحد المصارف الرئيسة للزكاة. ففي الوقت الذي وُجِّهت فيه الزكاة لحلول المشكلات الفردية الطارئة، وجَّه المجتمع الإسلامي الوقف للتنمية المجتمعية، وذلك من خلال الوقف من أجل التعليم والقضايا المجتمعية ذات الطابع العام الموجهة لتنمية المجتمع ككل. ومن ذلك الأوقاف التي وجهت لتنمية الأسرة (عبد الرحمن 2004 ب).

إنّ وقف المغاضبات، الذي أنشئ في صدر الإسلام، يقف شاهداً على تقدم الوعي المجتمعي الإسلامي بأهمية العمل الاجتماعي الموجَّه للأسرة. وتذكر لنا المصادر التاريخية، أنه عندما كثر الطلاق في المجتمع المسلم في القرن الثاني الهجري، اجتمع نفر من أهل العلم والخير، ونظروا في أسباب تفشي الطلاق بالمجتمع. فاهتدوا إلى أن من بين أكثر الأسباب تكراراً الملاسنات التي تقع بين أهل الزوجة والزوج أو أهله. وأصل هذه الملاسنات والمشاحنات أن الزوجة عندما تخرج غاضبة من بيت زوجها، تذهب إلى بيت والدها أو ذويها في حالة من التوتر والانفعال الزائد، وتحشد من المبررات ما يسند حجية خروجها من بيت زوجها

مغاضبة. وعند استماع أهلها لروايتها التي غالباً ما تكون مؤثرة ومشحونة عاطفيًّا لكسب تعاطفهم معها ومساندتهم لها، ينفعل الأهل وتأخذهم حِميَّة المدافعة – التي ذكرنا فيما سبق إنها أصل في مهام الأسرة – فتؤدي هذه الحمية إلى ملاسنات ومشادات تتطور أحياناً إلى منازعات ومطالبات بالطلاق.

لقد لاحظت زمرة من وجوه المجتمع هذا التهديد للحياة الأسرية فاتفقوا على إنشاء وقفٍ للمغاضِبات يُقْمنَ فيه حتى يسكت عنهن الغضب. ويتكون الوَقف المشار إليه من غرفات عديدة، ملحقٍ بها مقصف يُصَنعُ فيه الطعام، وتُهيّأ للمغاضِبة أسباب الراحة تحت رعاية من الخادمات والمرشدات من كبيرات السن اللائي يَقُمْنَ على نصح المغاضِبة وتبصيرها بعواقب انفراط عقد الحياة الزوجية، والسلوك المتوقع والسلوك البديل والسلوك الراشد. ومدة إقامة المغاضبة ثلاثة أيام، تأسيًا بقوله صلى الله عليه وسلم "لا يحق لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام". وبعد أن يسكت عن المغاضبة غضبها، تأخذها إحدى المسنات إلى زوجها أو تأتي به إليها (عبد الرحمن 2004:ج).

يستشف من هذا الوقف نموذج اهتمام المسلمين الأوائل بالأسرة ودورها في المجتمع، وأهمية الحفاظ عليها، ومقاومة المظاهر الاجتماعية السالبة مثل الطلاق الذي يعصف بالأبناء ويحرمهم فرصة التنشئة الاجتماعية في ظل أسرة مترابطة. ويعكس النموذج استهداف العمل الاجتماعي للأسرة، للاستقواء بها على باقي المجتمع.

ومن نماذج الأوقاف الإسلامية في صدر الإسلام، وقف الزَّبادي. وهو وقف أيضاً موجَّه لخدمة الأسرة والفئات الضعيفة من خادمات الأسر. فالزبادي جمع: مفرده زبدية. والزِّبدية إناء رقيق من صلصال الصين أو الزجاج، انتشر استخدامها في تقديم الأطعمة والمشاريب صحافًا وأكوابًا. وقد عانت الخادمات اللائي يعملن في بيوت الأسر من غضب ربات البيوت عندما يكسرن من الصِّحاف أو الآنية

إناءً. وكانت سيدات الأسر يَغْلظن على العاملات بالمنازل إن أتين جريرة من هذا النوع، فتوجه لهن الإساءات والإهانات والضربات وربما الغرامات والطرد من الخدمة.

رأت مجموعة من أهل الخير إنشاء وقف يطلق عليه وقف الزبادي، يجمع به نماذج من جنس الصحاف والآنية المستخدمة في بغداد، يكون ملاذاً لعاملات المنازل وعوناً لهن. فإذا كسرن صحفة أو إناءً جاءت بها العاملة، واستبدلتها من غير مقابل في المرة الأولى، وبنصف المقابل في المرة الثانية، ويتناقص الدعم تدريجياً حتى يُرفَع.

يُلقي هذا النموذج من الأوقاف الضوء على رقة القائمين عليه، وانفعالهم بمشكلات الضعفاء النفسية قبل المادية. كما يعكس رقيًّا وحضارة ونماءً في المجتمع الإسلامي، في ذلك الوقت الذي فاضت به الزكاة حتى لم تكن تجد من يقبلها. كما يعكس ارتفاع درجة الوعي المجتمعي بالعمل الاجتماعي.

فالتوعية والإرشاد الاجتماعي لم يكونا في ذلك الوقت يحتاجان إلى برامج توعية خارجة عن توجيهات الرسول الكريم في الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحمل المجتمع الإسلامي عامة والأسرة المسلمة خاصة على التساند والتعاضد والتعاطف والتكاتف والتحلي بقيم النجدة وسلوك الغوث. فهذا هو الرسول الكريم يردد قوله: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن...قالوا من يا رسول الله، قال: من بات شبعانَ وجاره جائع. ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يوقر كبيرنا. وقد وردت الآيات ذات العدد التي توجه الأسر لرعاية مسنيها ليس ماديًّا فقط وإنما نفسيًّا أيضاً مثل قوله تعالى ⌧⌘⌧⑨✡ⓑ↖ ❍♊♦⇔➔🖬⚐⌨♦③ ✍□✄⚡◗ ↓ ⬀❒❒🕮 ✐✍⌧☺➔♎←⑨♦■❒🕮 ♦❸⌧♍♋⌛⌧♍✍✃ ✐✍⌧☺←●⌗▭ ✎➔◗⬧✍ •⌧⬧▫ ✍⌧☺➔♎•⌧ⓑ☜ ✎➔♎♦❒ ✍⌧☺➔♎⚐❷◘✐⬀❁⬧✍ ⬧⬧♦❒ ⌨♏✍↑🕮 ⬖✂✖✐ ✍✞☺③✐❷•🗎 ☾⬧⚐❑⬧♎ ✍⌧☺←♑⬆♍ ⌧⌧✍♦☾⌧♉ ✍⌧☺←♑⬧♍ ⇧⬆ⓑ▦⬀⌘✍✃♦❒ ✎➔♎♦❒ ⓑ◘⌧☺⇧❍▪❷♍✍✃ ⌘♊ⓑ✄ ☞♏✌♒♎✐✍✃ ✍⌧☺⌧☜ ✍⌧☺←♑⬀✋⌧❑⚐❻✍✃ ☞♌⚉▪❻ ❻♦⬧✍❂♦❼ ⓑ❁✍ ❽❸❷☞⇔❁⏲ ✃ ↑ (الإسراء:23-24)، وقوله تعالى ↓ ❒♦❒♦⏲❍⑩⬂☾♦✍ ✃✍"☀♠❍❁⏲♊⌘

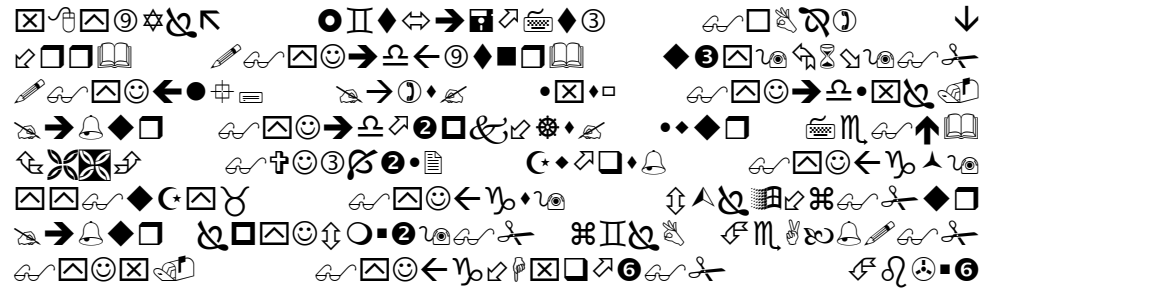

(لقمان:14).

6. التغيرات التي طرأت على الأسرة العربية

لقد طرأت على الأسرة العربية تغيرات كثيرة أثرت على فاعليتها في التنشئة. فقد طرأ تغيرٌ ثقافيٌّ في الوطن العربي. والتغير الثقافي يعني التغيير في جوانب الثقافة المعنوية الجزئية أو الكلية. فالتغير الثقافي لا يعني تغيُّر الثقافة كلها، أو تغير أساسياتها، بل يعني تغيراً في أي جزء من أجزائها.

كما طرأت على النظم الاجتماعية العربية تحولات في وظائفها. وقد وقع تحوُّل في البناء الاجتماعي من حيث القيم والمعايير، فعقمت النظم الاجتماعية عن إنجاب إنتاج ثقافي معنوي ومادي يتصل بإعلاء قيم العمل الاجتماعي ويستوعب البناء الراهن لواقع المجتمع العربي والأسرة العربية.

لقد وقع التحول في البدء في النظام المعرفي العربي. فأصبح المجتمع العربي مستهلكاً للمعارف والعلوم التي تنتج في مجتمعات متباينة معه ثقافيًّا واجتماعيًّا، خاصة فيما يلي المعارف الخاصة بالعمل الاجتماعي والطوعي. فبدلاً من الارتكاز على الإرث العربي والإسلامي في العمل الطوعي والوقفي والاستفادة من مصادر تمويل العمل الاجتماعي الإسلامي، أخذ المجتمع العربي يستورد القوالب الغربية للثقافة. فأخذ يكتسب أساليب التفكير والمعرفة من خلال الحلول الاجتماعية المستوردة. وأصبحت النظم العربية تساعد الأفراد على تحقيق التكيف مع الثقافة الغربية وإكسابهم لهوية أجتماعية وثقافية جديدة، تؤدي إلى ظهور حاجات جديدة وتثبِّت وسائل إشباع لهذه الحاجات باهتمامات ثقافية وجمالية جديدة.

فإذا تجاهل المرء الحديث عن عصر الانحطاط الفكري في الوطن العربي، التي بدأت بوادره في البروز من مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، فإن العالم العربي قد شهدت أنحاؤه ظاهرة الاستعمار الأوروُبي في القرن العشرين، وشهد النصف الأول منه

محاولات مستميتة من المستعمر ولطمس الثقافة العربية، ودمج الثقافة الغربية الحديثة في المجتمع العربي. فبينما نجح في الأولى، فشل في الثانية. فأصبح المجتمع العربي، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وبعض القوم يسقط بين بين.

أما النصف الثاني من القرن العشرين، فقد شهد بوادر العولمة، وأصبحت واضحة على أثر التحولات والتطورات العلمية والفكرية والحياتية المتدفقة. وأسست لمفاهيم وقناعات ونظم حياتية جديدة. ويصف مؤرخو حركة المجتمع تلك الظاهرة بظاهرة الحداثة. وبقدر ما أن العولمة هي استمرار واكتمال للحداثة، فقد تجاوزت الحداثةَ، ووصلت إلى أبعد مما وصلت إليه الحداثة في تقريب العالم ودمج أفراده وتداخل اقتصادياته وربط ثقافاته بعضها ببعض. فانكمشت ثقافات كثيرة من بينها الثقافة السائدة في الوطن العربي، وأصبحت عاجزة عن التأثير.

ففي الوقت الذي كانت فيه الدول العربية غافلة عن الاهتمام بتطوير مضمون التعليم وأساليبه وبرامجه ومخرجاته، أعادت العولمة طرح مفاهيم كثيرة مبتكرة للتعليم وللمعرفة، لتضاعف مضمون الكفاءة المعرفية الأدنى التي يحتاجها الشخص العادي ليكون قادراً على المشاركة الكاملة في حياة مجتمعه. وتم ربط التعليم بسوق العمل العالمي الواسع. وبرزت توجهات جديدة في المهن والوظائف. وأعطت العولمة قيمة كبرى للإبداع والتجديد.

أدت التغيرات التي طرأت على شكل الأسرة العربية وحجمها ومستواها الاقتصادي والاجتماعي إلى تناقص دورها. إذ أدى هذا التغير لتدهور دور الأسرة في تنشئة الأطفال ورعاية المسنين، ومن حيث مقدرتها على حمل المراهقين على اتباع النظم الاجتماعية، ومن حيث وحدتها وتماسكها وروابطها الاجتماعية. ولعل الأسرة في مجتمع المدينة كانت أكثر تأثراً من الأسرة في الريف.

لقد أدى التدفق الإعلامي والقنوات الفضائية والهوائيات العالمية إلى متابعة الأطفال العرب لمواد أفلام الصور المتحركة (الكرتونية) الغربية بما تحمله من أفكار دخيلة أثر على قيم النشىء في المجتمع العربي وثقافتهم. فجعل مهمة الوالدين في التنشئة الأسرية

عسيرة، وذلك نظراً لما تبثه هذه الوسائل التكنولوجية من مواد إعلامية فيعوق ذلك تحقيق الانتماء وبناء الهوية من جانب، والإعداد للأدوار المستقبلية، انطلاقاً من قيم المجتمع العربي وخياراته من جانب آخر.

إن الوضع الاقتصادي يمثل محوراً مهماً في التنشئة الاجتماعية للأطفال. ففي كثير من البلدان العربية، وخاصة الفقيرة يعجز كثير من الآباء عن تعليم أبنائهم ويلقون بهم صغاراً إلى سوق العمل. ومن هنا تنشأ عمالة الأطفال.

لقد أبرزت هذه المتغيرات المفاهيمية والمهنية فقر الوطن العربي. ولا ريب في أن توفير الأساس المادي من الأمور الحيوية في حياة الأسرة، وأن كثيراً من حالات الفشل في الأسرة يتم بسبب عدم الاستقرار المادي وانعدام الدخل، أو سوء التصرف فيه نتيجة عدم الموازنة بين الدخل وعدد الأولاد ونوع الحياة. فتؤدي الاستدانة من النظام المصرفي، أو محاولات كفاية الحاجات عن طريق استراتيجيات يحاسب عليها القانون إلى السجن أو الإسراف والإدمان على المسكرات والمخدرات وارتياد المقاهي بشكل مستمر، مما يؤدي إلى التفكك الأسري، وتصدع الأسرة، ومن ثم فشلها في التنشئة السوية.

يعمل الكثيرون من عائلي الأسر العربية أعمالاً بسيطة تدر للواحد منهم دخلاً بسيطاً. ولاشك أن حالات الضعف الاقتصادي للأسرة يؤدي إلى التوتر والقلق. فقد أثبتت الدراسات أن الأسباب الرئيسة للانحرافات الاجتماعية تنبع في الغالب عن الفقر والحاجة (عبد الخالق د. ت:132).

وقد أوضحت العديد من الدراسات أن الوالدين ذوي المستوى الاقتصادي الاجتماعي المرتفع يكونان أكثر تسامحاً في معاملة أطفالهم وتنشئتهم، بينما نجد الوالدين ذوي المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض تتصف طرقهم العامة في التعامل وتنشئة الأطفال بالاتجاهات المتشددة مما يقتل لديهم دافعية الإنجاز.

لقد أدت التغيرات التي طرأت على الأسرة العربية إلى شل فعاليتها في التوعية المجتمعية. فلم تعد قادرة على التعبئة للمشاركة في مشروعات الأسر المنتجة، أو ترشيد الاستهلاك وإذكاء روح الإنتاج والادخار. فلم تتجه الأسرة العربية للتوعية الاجتماعية

والقضاء علي العادات الضارة بالإرشاد الصحي والبيئي. وانكمشت التوعية الروحية، فنقصت القيم. ولم تستفد المجتمعات من مميزات الأسر الممتدة في الإنتاج والرعاية والتنشئة الاجتماعية بقدر ما أصبح الامتداد عبئاً على التوعية المجتمعية. فعجزت عن تنمية الطفولة ورعايتها وحمايتها وتلبية حاجتها الأساسية البيولوجية والروحية والنفسية والثقافية، التي تعتبر مكونًا أساسيًّا في التنمية الاجتماعية. وهي جوهر التنمية الشاملة، وضمان استمرار النهضة الحضارية.

لقد أستشرت في الآونة الاخيرة ظاهرة نشأة الأطفال خارج إطار الأسرة، إمَّا في دور الحضانة بالنسبة للأغنياء، وإمّا تشرداً جزئيًّا وكليًّا للفقراء، علماً بأن تنشئة الأطفال في إطار الأسرة هو الأساس لتنمية الطفولة، ورعايتها وفشلت الدول ومؤسسات المجتمع المدني والعمل الطوعي في تعزيز مقدرات الأسر من الناحية الإرشادية أو المادية لدعم قدرتها للنهوض بمسئولية التنشئة الأسرية.

ونتيجةً لانهيار النسق القيمي في بعض المجتمعات الفقيرة بالوطن العربي، برزت ظاهرة الأطفال فاقدي والديهم. واستشرت ظاهرة الإعاقة والفئات الخاصة. وعجزت الأسر عن رعايتهم وإدماجهم في المجتمع. فأصبحت عملية التنشئة الاجتماعية للطفل العربي، من المحيط إلى الخليج، تتم بأطر مختلفة بعيدة عن الدين أو العلم، وبصورة مقصودة ومنظمة أحياناً، وبصورة غير منظمة وغير مقصودة أحياناً أخرى. وإذا كانت بعض العوامل تؤثر في تباين أنماط هذه الرعاية الوالدية من قطر لآخر، وفق العادات والتقاليد وأنماط الحياة التي تفرق بين كثير من الأسر العربية في شتَّى انحاء الوطن العربي، إلا أن هناك قواسم مشتركة عديدة بين البلدان العربية. منها ما هي أطر ثقافية متشابهة، أو حد أدنى من العادات والتقاليد المشتركة المتمثلة في اللغة والدين والعادات والتقاليد. وذلك مما يبرر وضع خطط مشتركة لرفع الوعي بأهمية التنشئة الأسرية لإشراك أطفال اليوم ورجال الغد في العمل الاجتماعي الفاعل (عبد القادر 93:2002).

لقد خضعت الأسرة العربية في العقود الأخيرة لضغوط الحداثة والعولمة الاجتماعية. وانعقدت المؤتمرات العديدة مثل مؤتمر بكين والقاهرة تناقش قضايا الأسرة

والمرأة. وبرزت إلى الوجود مصطلحات الأسرة غيرالنمطية التي تتكون من والدة وحيدة وأطفال، أو في اثنين من جنس واحد (رجلين أو امرأتين). وهذا النوع لا يحمل أي نوع من التشابه مع الأسرة الطبيعية التي تقوم بمهمة إنجاب الأطفال وتنشئتهم وفقاً للإرث الثقافي الإنساني عامة وعادات أممهم وشعوبهم وتقاليدها على نحو خاص. وفي ضوء هذا الواقع وتلك المهددات، فإن المجتمعات العربية والإسلامية يقع على عاتقها اتباع الأساليب العلمية لرعاية الأسرة. فيجب أن يُزاوَج في ذلك بين علوم الأصل والعصر. ومن أهم المعارف والعلوم التي يمكن أن تعين الأسرة على أداء واجبها في التنشئة هو "الإرشاد النفسي"، وفرعه المسمى "الإرشادي الأسري" بخاصه.

تنبع أهمية الإرشاد الأسري في المجتمعات العربية والإفريقية والإسلامية عامة، من أن نذر العولمة ساعية لرفع الرعاية الوالدية بقوة القانون عن كاهل الآباء وجعل الأبناء أحراراً في اعتناق المذاهب التي تعجبهم (زكريا بشير إمام 2000).

لكي تجد أطروحات النظام العالمي الجديد طريقها إلى أن تصبح طريقة حياة وفلسفة للواقع، وجهت ضربات قوية إلى سلطة الأبوين. فالبلاد الأوروبية والولايات المتحدة تمنع وبقوة القانون سلطة الآباء على أبنائهم. فقد سلبت الآباء والأمهات سلطتهم على الأبناء، متى بلغوا سن السادسة عشرة (كانت سنُّ الرشد هي الواحدة والعشرين. ولكنها اليوم خفضت إلى السادسة عشرة). فعندما يبلغ الأطفال هذه السن، يصبح لهم مطلق الحرية في ممارسة الجنس مع من يشاؤون وحتى الشذوذ الجنسي على مرأى من الآباء ومسمعهم. وإذا حاول الآباء التدخل في ذلك، فإن المحاكم تتدخل لحماية حريات الأبناء والبنات وحقوقهم الإنسانية.

ومن الوسائل التي لجأت إليها الدول الغربية في تحرير الأطفال من نفوذ الوالدين، جعلُ الأطفال يستقلون عن الآباء اقتصاديًّا ومنذ فترة مبكرة. وذلك بالإعانات الاجتماعية (أو الفوائد الاجتماعية) التي تتيحها لهم الدولة متى ما قرروا الانفصال عن الوالدين، بحيث يستطيع أؤلئك الأطفال تدبير أمور معاشهم بعيداً عن الوالدين في دور إيوائية منعزلة، ومع الأصدقاء والأخلاء. وذلك خصماً على بنود العمل الاجتماعي.

7. موجز الدراسة ونتائجها

تناولت الدراسة دور الأسرة العربية في التنشئة الاجتماعية وعلاقته بالتوعية المجتمعية من أجل العمل الاجتماعي. فبعد استعراض التراث العربي الإسلامي الخاص بدور الأسرة في التنمية المجتمعية، ومقارنته بالواقع العربي المعاصر، توصلت الدراسة إلى وجود انقطاع في التجربة العربية. فبينما تأسست التجربة الأولى على المكوِّن العربي الإسلامي القائم على تراث العائلة الممتدة والتوجيهات الإسلامية، والاستفادة من الإرث الثقافي فيه، ارتكزت التجربة العربية المعاصرة على التنظير العالمي. وتعاملت مع المكوِّن الاجتماعي العربي في هذا المجال تعاملاً جزئيًا، ولم ترتكز على البنية الاجتماعية العربية والقيم الاجتماعية والثقافية الإسلامية. فكان من نتائج ذلك إهمال دور الأسرة، ومقدرتها على تأسيس الوعي بأهمية العمل الاجتماعي من خلال التنشئة في السنوات الأولى من حياة الطفل.

وترتيبًا على ذلك، أصبح العمل الاجتماعي بالوطن العربي تالياً للأبعاد السياسية والاقتصادية ومُلحقاً بها، ينزع نحو حل المشكلات الاجتماعية التي تفرزها محاولات التنمية المبتثرة مثل التشرد، والتسول والفقر والبطالة وكفالة الأيتام وإنشاء دور اللقطاء والمسنين.

توصلت الدراسة أيضاً إلى أن الوعي بالعمل الاجتماعي في الوطن العربي يعاني ضعفًا واضحًا تتجلي مظاهره في العزوف عن المشاركة الاجتماعية من قبل الرأسمالية الوطنية، التي تعتبر التهرب من الضرائب ضرباً من الكياسة والفطنة و"الشيطنة". وقد ساهمت القيم الثقافية السائدة في الوطن العربي والتي لا تجرِّم المتهربين من الضرائب أخلاقيًّا، على عدم شعور أصحاب الأعمال بأي نوع من وخز الضمير، في حين أن الغربيين من أمريكان وأوروبيين يعتبرون ذلك عيباً توجَّه له الإدانة الاجتماعية وغير الأخلاقية، إنّ الثقافة الغربية تعمل على إعلاء قيم العمل الطوعي والاجتماعي. يساند قانونُ الضرائب هذا الإعلاء من خلال خصم قيمة إسهامات رجال الأعمال في العمل الطوعي من مربوطهم الضريبي.

تستنتج الدراسة أن أسباب هذا الاختلاف في درجات الوعي (التوعية المجتمعية) بأهمية العمل الاجتماعي، نابعة من نوع وطريقة الأسس التي تقوم عليها التوعية المجتمعية. فالتوعية المجتمعية في الغرب تقوم على قيم المسئولية من نتائج الثورة الصناعية التي أوجدت العطالة والفقر والبطالة. وهذا أمر مقنع للغربيين وغير مقنع للعرب. أما العالم الإسلامي فإن التوعية المجتمعية لا تستخدم الموروثات الدينية المطالبة بحقوق الفقراء في أموال الأغنياء (**المعارج:24-25**)، وهي الزكاة. وفي المال حق آخر غير الزكاة، وهذه هي الثقافة التي يحترمها العربي. فلابد أن تستمد التوعية المجتمعية حجيتها من المرتكزات الثقافية المتأصلة بالموروث الثقافي للشعوب العربية حتَّى تكون فاعلة. وهذا ما قالت به القمة الاجتماعية في كوبنهاجن في 1995 لتمثل نقلة كيفية، في إعادة الاعتبار للأبعاد الاجتماعية للتنمية ووضعها في مكانها الملائم كمكوِّن أساسي وأصيل من مكونات التنمية الشاملة، لأن منظومة القيم تلعب أدواراً مهمة في فعالية عمليات العمل الاجتماعي وتنظيماته.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة، أهمية تطوير وعي الأطراف المشاركة في العمل الاجتماعي بدور التنشئة الأسرية في مد المجتمع بأفراد قادرين على الإنجاز وذوي رغبة في المشاركة المجتمعية. حتى تصبح التنشئة الأسرية قادرة على تطوير وعي أفراد الأسرة بأهمية العمل الاجتماعي وضروراته، وتسهم في تفعيل أدوارهم ومهامهم ومشاركتهم في التخطيط له، وتمويله وتنفيذ برامجه ومشروعاته، ومتابعتها وتقويمها، وبالتالي الارتقاء بالعمل الاجتماعي، فإنها تحتاج إلى الدعم الفني والمادي.

فالأسرة قادرة على تحويل نفسها إلى مؤسسة عمل اجتماعي ـ إذا تمت مساندتها ماديـًّا وإرشاديـًّا بواسطة مؤسسات المجتمع المدني، والعمل الطوعي لإيواء أفرادها المشردين، ورعاية افرادها المعاقين، والاعتناء بأفرادها المسنين، والاستفادة من طاقة أبنائها العاطلين إذا مُوّلت لهم مشروعات الأسر المنتجة. ومن ثم تكون قد أدخلت شريكة

فاعلة في محاربة الفقر، وحماية أفرادها من التعرض لمخاطر الإدمان والعنف والانحراف، وتدهور الصحة النفسية.

لقد أكدت دراسات التوافق النفسي للأيتام أنّ الأيتام الذين تكفلهم منظمات عمل طوعي داخل إطار أسر ممتدة، وذلك بتوفير المكون المادي للكفالة وترك شأن التنشئة الأسرية للأسرة، يكونون أكثر توافقاً نفسيًّا من الأيتام المعزولين في مؤسسات إيوائية. وكذلك أوضحت الدراسات وجود فروق دالة إحصائيًّا على تعلم مهارات الحياة اليومية بين المعاقين في دور إيواء المعاقين، والمعاقين داخل أسرهم لصالح الأخيرين. ويدل ذلك على أهمية الأسرة في العمل الاجتماعي المتكامل.

توصلت الدراسة أيضاً، إلى أن الإرشاد الأسري يرفع من مقدرة الأسرة ويزيد من كفاءتها في التنشئة، كما يرفع وعيها بالتقانات اللازمة للتنشئة من أجل العمل الاجتماعي، ويمدها بالأساليب المناسبة لرعاية المعاقين واجتثاث بوادر التشرد كخطوة استباقية قبل وقوع التشرد، ويعين الأسرة على الاستفادة من طاقات أفرادها ورفع دافعيتهم للإنجاز.

8. توصيات الدراسة

وبناءً على ما سبق فإن الدراسة توصي بالآتي :

1.8 شجيع قيام الأسر الطبيعية ورعايتها من خلال إنشاء أوقاف تساهم الدول والمنظمات في تمويلها ورعايتها، يكون من همها إنشاء مأوى لحديثي الزواج ويمكن التمثيل لمثل هذه الأوقاف بوقف "نُزل العرسان" – الذي كان في الدولة الإسلامية – نسبة لوقوف المأوى حاجزاً أمام فقراء المدن في الزواج. يكون ذلك بتضافر الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والطوعي لبناء بنايات ضخمة بها وحدات سكنية صغيرة لحديثي الزواج. تكون الوحدة من غرفة وحمام ومطبخ. ومن شأن هذه الوحدة السكنية أن تحلّ مشكلة السكن لخمسة أعوام قادمة، وبعدها تؤول إلى أسرة أخرى.

2.8 وفي جانب رعاية الأسر، يمكن إعادة إحياء وقف المغاضِبات الذي ورد ذكره في الدراسة.

3.8 إنشاءَ مركز إرشاد أسري نموذجي في جنوب الخرطوم. تكون أهدافه ومكوِّناته على النحو الآتي:

1.3.8 من أهداف المركز

(أ) الإرشاد الأسري العام.

(ب) تأهيل الأسر لرعاية المشردين والمعاقين واللقطاء والمسنين داخلها.

(ج) تعليم الأسر أساليب التنشئة الأسرية التي ترفع دافعية الانجاز والمشاركة (عبد الرحمن أحمد عثمان، التنشئة الأسرية).

(د) تقديم برامج تمويل للأسر لقيام مشروعات الأسر المنتجة لمحاربة الفقر والبطالة.

(هـ) رفع وعي الأسر بأهمية العمل الاجتماعي لإشراكها في التوعية المجتمعية.

2.3.8 مكونات المركز من الطاقة البشرية :

(أ) مستشار إرشاد نفسي أسري.

(ب) خمسة من إخصائي الإرشاد النفسي الأسري.

(ج) خمسة من إخصائي الإرشاد الاجتماعي.

(د) شيخ أو مرشد ديني.

(هـ) طبيب نفسي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

كتب الاحاديث.

إبراهيم، عطية

1995 **المعاملة الوالدية للأبناء، وعلاقتها بمستوى الطموح.** القاهرة: جامعة عين شمس.

الأشعث، أبو داؤود سليمان بن

1992 **سنن أبي داؤود،** تونس: سحنون.

الألباني، محمد ناصر الدين
1958 **سلسلة الأحاديث الصحيحة**. ط 4. بيروت.
إمام، زكريا بشير
2002 **العولمة الاجتماعية**. الخرطوم: مركز دراسات المرأة.
البطش، محمد وليد، وعبد الرحمن
1990 **البناء القيمي لدى طلبة الجامعة الأردنية**.
حوامدة، مصطفي محمود
1991 **التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها بأنساقهم القيمية**. القاهرة: عين شمس.
حيدر، فؤاد
1994 **علم النفس الاجتماعي**. بيروت: دار الفكر العربي.
الخالدي، أديب وهاشم جاسم السمرائي.
1989 "**القيم الشخصية لدى طلبة قسم الإرشاد**". مجلة العلوم التربوية والنفسية. بغداد.
خليفة، عبد اللطيف
1992 **أرتقاء القيم**. الكويت: عالم المعرفة.
دبلوك، علوية عثمان
1997 "**ظاهرة الطلاق في المجتمع السوداني**". الخرطوم: آداب.
أبو الرب يوسف
2001 **التنشئة الاجتماعية للطفل**، عمان: الصفاء.

زهران، حامد عبد السلام
1988 **علم النفس الاجتماعي**. القاهرة: عالم الكتب.
زيعور، على
1977 **التحليل النفسي للذات العربية**. بيروت: دار الطليعة.
زين العابدين، أحمد المصطفي
2004 **أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة**. أم درمان: معهد دراسات العالم الإسلامي.
عثمان، عبد الرحمن أحمد
2000 **العمل الطوعي في ظل العولمة والنظام العالمي الجديد**. الخرطوم.
2001 **الإرشاد النفسي**. الخرطوم: جامعة جوبا.

2002 **الإرشاد الزواجي.** الخرطوم: مركز الاستشارات العلمية.

2003 "أتجاهات المجتمع السوداني نحو الطفل اللقيط"، دراسات نفسية 2. الخرطوم.

2004أ "دور الوقف في التنمية المجتمعية". ندوة الاقتصاد السوداني، جامعة إفريقيا العالمية

2004ب تأهيل النفسي للفتاة المشردة ما بعد الحرب". دراسات نفسية 3. الخرطوم.

عبدالقادر، شريف السيد

2002 **التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة.**

عوض الكريم، الأمين

2000 **قيم التنشئة الاجتماعية في الأسرة، ومقارنتها بالقيم المتضمنة في منهج الخبرات.** الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية.

قناوي، هدي محمد

1996 **الطفل تنشئته وحاجاته.**

لامبرت، وليم وولاس

1993 **علم النفس الاجتماعي.** القاهرة – بيروت: دار الشروق.

أبو النيل، محمد السيد

1985 **علم النفس الاجتماعي.** بيروت: دار النهضة.